قلب كبير

« إلى صديقي الأستاذ أنور المداوي
لحبه بقلبه الكبير »

للأستاذ شاكر خصباك

من كان يتصور هذا ؟! من كان يتصور أن ذلك القلب الصغير يتسع لكل تلك العواطف الكبيرة الزاخرة بأسمى مشاعر الحب والوفاء ؟! أجل ، من كان يتصور هذا ؟! ومع ذلك فقد

جرى كل شيء في بساطة مدهشة .

كان المنزل الذي اتخذته مقرا لي في القاهرة يعج بالمغريات ، وكنت أحاول إقناع نفسي باستئناف حياة جديدة خالية من عنصر النساء - بعد أن جر علي متاعب جمة - فانطلقت أنقب عن أسرة صغيرة أشاركها العيش علني أسكن إلى حياة رزينة . وهكذا عرفت تلك الأسرة الفرنسية الطيبة . وكان قوامها زوجين في العقد الرابع من عمرهما وصبية في ربيعها الثالث عشر ذات حظ موفور من الحسن يشعرها الأصفر الذهبي وعينيها الزرقاوين الواسعتين وملامحها الدقيقة الساذجة .

وانطويت على نفسي في الأيام الأولى ، فلم أتبادل مع الأسرة سوى أحاديث قصيرة على مائدة الطعام . وفيما عدا ذلك كنت أعتكف في غرفتي منصرفاً إلى القراءة والدرس . لكنني ما لبثت

وفي فرنسا : نجد الأستاذ هنري بيرون المولود في سنة ١٨٨١ . كما نجد الأستاذ جورج دوماس george Dumas المعروف بأبحاثه الخاصة بالانفعالات .

وفي روسيا : نجد تيارا جديدا ينادي بدراسة الفرد « كعضو في طبقة اقتصادية أو مهنية » ؛ ويتزعم هذا التيار علما نذكر منهم الأستاذ كورنيلوف المولود في سنة ١٨٧٩ ، ومدير علم النفس التجريبي في جامعة ولاية موسكو .

ونحب هنا أن نشير إلى أن مؤلف هذا الكتاب ، هو نفسه من بين علماء وسط الطريق أو أن هؤلاء العلماء لا يقفون من المدارس المعاصرة في علم النفس موقف المتفرج ، بل إنهم يقومون بمهمة التوفيق حينا ، وحينا آخر يقومون باختيار ما هو أحسن ، وأقرب إلى الصواب عند كل من هذه المدارس ، ليسيروا به قدما ، تاركين المدارس في تنازعها وتضاربها . فعلى يدي علماء وسط الطريق يجب أن نتوقع من الكشف والاستقلال في الموضوعات والمناهج على السواء أكثر مما نتوقع من المدارس .

* * *

وبعد فهذا رسم تخطيطي للكتاب الفذ الذي اضطلع بمهمة ترجمته إلى العربية الأستاذ الشاب « كامل دسوقي » بما عرف عنه من حماس للعلم منقطع النظير . ولا يفوتني هنا أن أشكر لصديقي الأستاذ هذا المجهود الجبار الذي بذله ، من يوم بدأ يترجم كتابه طالبا بالسنة النهائية من قسم الفلسفة بكلية الآداب . وتتجلى آثار هذا المجهود في مقدمته التي يلخص فيها أهم التيارات التي تجاذبت علم النفس ، والتي يورد فيها ترجمة وافية دقيقة لمؤلف الكتاب وثبتا لمؤلفاته ، كما يتجلى في التعليقات المسهبة التي يعقب بها المترجم على كل فصل من فصول الكتاب » وهذه ميزة لا نعرف أن المؤلف قد سبق إليها من قبل . وفي ثبت المراجع الذي ذيل به الكتاب فضلا عن المراجع التي أوردها المؤلف ، كما تتجلى كذلك في أمانة النقل ، ودقته ، مع ما في أسلوب الكتاب من التواء وغموض .

وختاما أرجو لعلم النفس على الخصوص ، وللفلسفة بوجه عام ، خيرا كثيرا على يدي المترجم وغيره من الشبان المشتغلين بهذه الدراسات في مصر والشرق العربي ، عن طريق الترجمة والتأليف على السواء .

المنصورة

مصطفى أحمد فؤده
ليسانسيه في الفلسفة
ومدرس بالمدارس الأميرية بالمنصورة

أن استشعرت الوحشة فى هذه الحياة الرتيبة ، وحنت إلى دنيا اللهو والمرح . وخشيت أن يفلت الزمام منى فعقدت العزم على الاندماج فى الأسرة لو أد هذا الحنين . وقد شجعنى ما لمسته فى الزوجين من طيبة ونبل على المضى فى قرارى قدر الامكان .

وشرعنا ننتظم كل مساء فى جلسة هادئة لنتحدث فى شتى شئون الحياة . وكنت أنصرف إلى الزوجين أثناء تلك الجلسات غير معنى بتوجيه الحديث الى فلورا . وأحسب أننى لست ملوما على ذلك السلوك . فقد كانت هى دونما لى على تجاهلها بما كان تبديه من جمود أقرب إلى النفور . وكان يحدث لى أحياناً أن ألفت نحوها عفواً فأراها معلقة الأنظار بوجهى وهى سارحة الفكر ، وتلتقى عيناى بعينيها وسرعان ما تغض طرفها فى ارتباك وتعلو وجنتيها حمرة خفيفة .

وضقت بجمودها ذرعاً فسألت والديها عما يدعوها إلى النفور منى ، فأكدا لى أنها شديدة الخجل وأنها فى حاجة إلى مدة كافية ربما تألف صحبتى . فحفزنى هذا الكلام على انتهاج خطة جديدة للتقرب إليها ، وبدأت أوليها نصيباً كبيراً من عنايتى . وسرعان ما أخذت فلورا تتحرر من جمودها شيئاً فشيئاً وإن لم يزايلها خجلها الشديد .

« إن فلورا طفلة عجيبة » . تلك هى الفكرة التى نبعت فى أعماق وتسربت إلى جوارحى رويداً رويداً حتى تشبع بها كيانى . إنها عجيبة بوجهها البرىء وخجلها الساذج وسلوكها المثير . وكلما ازددت بها معرفة اشتدت محبتى لها . شىء معين فيها كان يضرم حبى . أهى تلك النظرة الوادعة التى تطل من عينيها دوماً ؟! أم تلك الحمرة الوردية التى تصبغ وجنتيها أبداً بصبغة الحياء ؟! أم تلك الملامح العذبة التى تعبر أدق التعبير عن طهارة الطفولة وجمالها السامى ؟! لا أدرى بالضبط ، ولعل تلك الأسباب مجتمعة كانت تحببها إلى . وحمدت الله حين بدا لى أن نفورها القديم منى قد اختفى تماماً . وعجبت كيف ألفت صحبتى بتلك السرعة المدهشة حين غمرتها باهتمامى . وأصبح من الواضح أنها تحمل لى بين جنبيها مودة عميقة . لكن هدوءها المتناهى وخجلها الشديد كانا يطبعان حركاتها بطابع التزمت . ولعل الشىء الوحيد الذى كان يعلن عن تلك المحبة هو عيناها ... عيناها المنطويتان على بحر جياش بالعواطف المضطرمة . ومع أنها كانت تحب أن تجلس إلى دوماً ، إلا أنها لم تكن تقتحم على غرفتى أبداً ، بل كانت تنتظر فى لهفة أن أسألها ذلك بنفسى . واعتدت بدورى أن أستدعيها إلى غرفتى عصر كل يوم حين تعود من المدرسة ، لتقص على ما مر بها من حوادث النهار . وقد يصادف أن يضيق وقتى عن الاستماع إليها بعض الأحيان ، فأضطر إلى القراءة والتظاهر بالاستماع ، فكانت تكف عن الكلام وتركن إلى الصمت رغم احتجاجى . وتجمع على [illegible] عينين .. عينين حنونتين تتملقان بوجهى فى شرود . لكنها رغم كل شىء كانت تحرص على قضاء العصر معى ، فتتعمد المرور أمام باب غرفتى — ساعة رجوعها إلى المدرسة — وتخاطب أمها بصوت عال ليبلغ مسامعى ، حتى أدعوها إلى .

والواقع أننى لم أستشعر الضيق من إقبالها على صحبتى بهذا الحماس العظيم ، بل كنت أشجعها على ذلك غاية التشجيع ، حتى أننى قبلت حين سألتنى ذات يوم فى إلحاح أن أدرسها اللغة العربية فى فرصى السانحة . فقد كنت آمل أن تصرفنى صحبتها عن الصديقات اللاهيات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كنت أحس نحوها بحب صادق ومودة عميقة ، وحملنى ذلك على ملازمتها دوماً ، بل دفعنى إلى استصحابها فى نزهاتى خارج الدار ، حتى صار من المألوف أن تكون فلورا برفقتى كلما رغبت فى نزهة أو قصدت إلى سينما . وكم كانت تحس بالغبطة والسرور لتلك النزهات ، فكأن شملة سحرية من السعادة تتوهج فى أعماقها فيفيض وجهها بشراً وهناءة ! غير أننى فى الحقيقة لم أكن دائم الرضى عن هذه الحياة ، بل كانت تتملكنى أحياناً مشاعر أسى ويرمضنى حنين ملح إلى حياتى اللاهية . لكننى كنت أسارع إلى الافلات من شراك تلك المشاعر فيعاودنى الاطمئنان وهدوء البال .

وذات أمسية كنت أتنزه مع فلورا فى شارع فاروق المحاذى للنيل فالتقيت بصديق حمدى ، وكنت لم أره من مدة بعيدة ، فهتف فى دهشة ممزوجة بالفرح : ماذا جرى لك يا سامى ؟! لم يعد يوسع أحد أن يراك .

فأجبته معتذراً : إنها ظروف الحياة لعنها الله .. حقا إننى

مشتاق لرؤيتك .

فصاح مازحاً وهو يرمي فلورا بنظرة استغراب : لعلك مشغول بهذه الطفلة .. ولكنني لا أرتضي لك هذا المصير الأليم بعد مغامراتك الرائعة مع الغيد الحسان .

وربت على كتفي مداعباً وانصرف مع رفاقه ضاحكاً . وتابعت التنزه مع فلورا وعباراته الساخرة تموج في أعماقي .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. أنا مشغول بهذه الطفلة .. هل وعى وقف على هذه الطفلة .. لم أعد أعرف معنى المرأة الناضجة .. فلورا تسرق شبابي . فلورا تسرق شبابي .. فلورا تسرق شبابي ..!

مرت أيام وأنا مرهق الذهن بتلك الأفكار الثائرة . وعادت صور الماضي الغريبة تراود مخيلتي في إلحاح . وضجت أعماقي بالسخرية المرة .. ما أتفه عقلي وأسخف سلوكي ! كيف بددت وقتي طيلة هذه الأسابيع برفقة طفلة صغيرة تابعاً الفتيات الناضجات اللواتي يقدمن لي كل ما تتوق إليه نفسي ؟!

ثم تحطمت القيود التي كبلت بها رغباتي منذ أن هبطت على دار الأسرة الفرنسية، وجددت الصلة بنفر من صديقاتي القديمات وتبعاً لذلك تغير منهج حياتي . لم يبق لي هناك وقت للانضمام إلى أفراد الأسرة في جلستهم اليومية بعد العشاء . ولم يعد بإمكاني أيضاً أن أرى فلورا عصراً، إذ طفقت أغادر الدار قبل أن تؤوب من المدرسة. وبدأت أحاول أن أقتصد في الوقت الذي أقضيه في المنزل فأقصره على القراءة والدرس . واقتضاني ذلك أن أتجنب الاجتماع بفلورا جهد إمكاني .

لم يعبأ الزوجان بالانقلاب الذي طرأ على حياتي كثيراً ، أما فلورا فانقلبت حياتها تبعاً لانقلابي . وطبيعي أنني لم أعد أراها كثيراً في عهدي الجديد لأعرف الشيء الكافي عن حياتها ، لكنني أستطيع أن أعلن ذلك الحكم وأنا مطمئن إلى حقيقته . فقد أدركت كل شيء من عينيها .. ذلك الكتاب المفتوح الذي كانت صحائفه تعكس صدى عواطفها في صراحة وصدق . تعكر البحر الصافي العميق الأغوار بنظرة حزينة ، وامتزجت العذوبة الفياضة في الوجه البريء بسحة كدرة . كان يكفي أي شخص أن يلقي عليها نظرة عابرة ليوقن أنها طفلة معذبة . وأحسب أن عواطفي قد تحجرت تلك الآونة فلم يثرني عذابها كثيراً . أو لعل اندفاعي في تيار اللهو كان يستغرق كل اهتمامي . فلورا .. تلك الطفلة المذبة .. أية قسوة كان ينطوي عليها قلبي لأندفع في إيلام مشاعرها دون أدنى اكتراث ؟! كان لا بد لها أن تراني وإن لم أعد أدعوها. وبدأت تتسلل إلى غرفتي في خطوات مضطربة وتقف أمامي وهي خافضة النظر . وأرفع رأسي وأنظر إليها في شيء من الضيق ، فتبادرني قائلة بلسان متلعثم : ألا يمكنني أن أحدثك عن المدرسة الليلة ؟

فأرد عليها في لهجة مبرمة : من فضلك يا فلورا .. في وقت آخر .

فيتكدر صفاء وجهها بتغطية اكتئاب وتلتوي شفتاها ، ثم تنسحب بهدوء وفي عينيها نظرة كسيرة . أما الدرس العربي فقد باعدت بين مواعيده حتى أصبح في حكم المعدم . لكنني لم أكن دائم القسوة معها ، بل كنت أجيبها إلى سؤالها أحياناً ، فأصحبها في نزهة أو إلى السينما ، وأن اعتذرت عن طلبها في غالب الأحيان وحملتها من عذاب الخجل مالا تستطيع حمله .

وذات أمسية غادرنا دار السينما بعد مشاهدة فيلم غرامي ، وسلكنا شارع سليمان باشا عائدين إلى المنزل . وكانت فلورا تسير إلى جانبي والسرور ينير وجهها ، وهي صامتة تائهة كأنها تحت سلطان قوة خفية ! وفجأة التفتت إلي في تردد وسألتني بصوت راعش والدم يندفع إلى وجهها لاهباً : ماذا يعني وقوع المرأة في غرام الرجل يا سامي ؟

فنظرت إليها دهشاً ، ثم أدركت على الفور أن عنف العواطف في « الفلم » قد أثار فضولها . فقلت بلهجة متلطفة : لا تشغلي الأمور يا عزيزتي فلورا .. هذه عاطفة يصعب على الصغار فهمها ، وستدركين معناها — عندما تكبرين — من تلقاء نفسك .

فقاطعتني بلهجة احتجاج: ولكنني أستطيع فهمها الآن فأنا فتاة كبيرة. أنت لا تعرف عمري الحقيقي .. إن لي خمسة عشر عاما .

فأجبتها مازحاً: حقا ؟! لقد كنت أعتقد أنك في الثالثة عشرة من عمرك . انت تبدين أصغر من سنك كثيراً ..!

فصاحت فرحة : هذا صحيح .. إنني أبدو أصغر من سني كثيراً ، وفي وسعي أن أفهم كما تفهم الفتيات الكبيرات ..

فقلت لها في لهجة جدية : إسمعي يا فلورا دعي السؤال عن

مثل هذه الأمور حتى تكبرى ، فأنت الآن طفلة صغيرة لا يصح أن تلقى هذه الأسئلة على الآخرين .

وما كدت أفرغ من قولى حتى سمعت صوتاً يهتف فى حرارة: «هالو سامى!» . والتفت ، وإذا بى أمام صديقتى «سوسو» التى كنت قد أخلفت موعدى معها قبل أيام ، وراحت «سوسو» تتفنن فى عتابى متهمة إياى بتفضيل صديقاتى الأخريات بينما انطلقت فلورا ترقبها فى غيظ واشمئزاز. واستطعت أن أتخلص من عتابها أخيراً بالاتفاق على موعد آخر ، فانصرفت وهى تحذرنى من اخلاف الموعد مرة أخرى . وتابعت السير مع فلورا فى صمت ، وعبثاً حاولت وصل الحديث بيننا ، إذ تمسكت فلورا بصمتها وقد ارتسم على وجهها شتيت من عواطف الخيبة والمرارة والغيظ .

* * *

تغير سلوك فلورا تجاهى منذ تلك الليلة تغيراً عجيباً ولم تعد تحتفظ لى بمودتها القديمة . فقد صادف فى اليوم التالى أن كان ميعاد درسها العربى ، فاستدعيتها إلى غرفتى لتستمع إلى الدرس. ولشد ما دهشت حين قرأت على صفحة وجهها دلائل قسوة وعنف ولمحت فى عينيها نظرة صارمة يمتزج فيها الغضب بالنفور بالأسى. وانتصبت أمامى شامخة الأنف مقطبة الوجه ، فنظرت إليها متعجباً وقلت باستغراب : اجلسى يا فلورا ... ألست مستعدة لدرسك العربى ؟!

فأجابتنى بلهجة جامدة : كلا ..

فسألتها فى دهشة : لماذا يا فلورا ؟! يجب أن أعرف فالأمر يهمنى

فانفجرت صائحة فى غضب : انت تخدعنى فالأمر لا يهمك إننى لم أعد أحب هذه اللغة . . لا أحبها . . لا أحبها . . ولن أستمع إلى درس عربى آخر .

وروعتنى ثورتها فلبثت أرقبها صامتاً مشدوهاً . وقبل أن أستفيق من ذهولى هرعت إلى غرفتها وأوصدت وراءها الباب. وقصدت إليها من فورى واستويت إزاء الباب بعد أن نقرت عليه فى رفق . هيه ... هى ... ماذا؟! أتبكين يا فلورا؟! ساد الصمت برهة ، ثم تناهى إلى سمعى صوت مرتعش يهمس: «أرجوك ... اذهب» فقفلت راجعاً إلى غرفتى تتنازعنى مشاعر الألم والاشفاق .

انطوت فلورا على نفسها ، وبانت تحتجب عن عينى دوماً . ولم أعد أراها إلا على مائدة العشاء وهى مقبلة على طعامها موردة الخدين خافضة النظر . وحين تلتقى أنظارنا عرضاً يحمر وجهها وتلتمع عيناها ويزوغ بصرها عنى وجهى فى قلق وارتباك . وأيقنت أنها عادت إلى نفورها القديم منى ، فقد أصبحت كل حركة من حركاتها وكل لفتة من لفتاتها تعبر عن هذا النفور ، ولكن عينيها ظلتا مشحونتين بأسى عميق ووجهها مغلفاً بكآبة قاسية .

ومضت الأيام وأنا مشغول بصديقاتى اللاهيات غير عابئ بأمر فلورا . وظلت هى تحرص على الابتعاد عنى فتؤازرنى فى اهمالها ، إلى أن حل ذلك المساء. ورجعت إلى المنزل على غير ميعادى ، وما كدت أفتح باب غرفتى حتى ألفيتنى وجهاً لوجه أمام فلورا. ! ألم يحدث لك أن فاجأت لصاً يهم بمغادرة المكان بعد أن سرق أثمن محتوياته ؟ ! تلك هى حالتها بالضبط حينما باغتها بدخولى . تقاصت ملامحها واكفهر وجهها واشتعلت عواطف الخوف والحيرة والخجل فى عينيها القلقتين. ماذا بك يا فلورا ؟! ما الذى يروعك؟! خطوت نحوها فى بشاشة فاندفعت صوب الباب بلهفة طائر سجين فُتح له القفص سهواً ... كلا ، لن أدعك تخرجين . وقبضت على ذراعها وأنا أقول فى لطف : مرحباً بك يا فلورا ... لماذا تسرعين ؟ !

فانطلقت تناضل لتخليص ذراعها من قبضتى وهى تردد بصوت مخنوق : دعنى أذهب ... أرجوك ، دعنى أذهب .

لكننى أجلستها على أحد المقاعد عنوة وأنا أقول فى رقة : مهلا يا عزيزتى فلورا ... لا داعى للعجلة..

فصاحت فى لهجة غاضبة وهى تتململ فى مقعدها : أنا لست عزيزتك ... دعنى أذهب .

فواصلت كلامى ضاحكاً : لا تثورى يا فلورا ، فأنا أعلم أنك غاضبة علىّ . والآن أنبئينى ؛ أجئت لتزورينى أم لتستردى كراسة اللغة العربية ؟!

فرمقتنى لحظة بنظرات متأملة ، ثم غمغمت بلهجة متعثرة : أعطنى دفتر اللغة العربية .

فاتجهت إلى المكتب صامتاً ومضيت أقلب الكتب والدفاتر وهي ترمقني بنظراتها المبهمة . وحين قدمت إليها الكراسة حدقت في وجهي مليا ثم قفزت على قدميها ثائرة وانهالت على الكراسة تمزقها بأسنانها وهي تصرخ في لهجة معذبة : إني أكرهك ... أكرهك ... أكرهك .

وألقت الفصاصات على الأرض في عنف ومرقت من الباب ! وتهافت على المقعد مذهولا وصرخها يدوي في أذني ... تكرهني ؟! لماذا ؟! وأي دافع ساقها إلى غرفتي إذن ؟ ! ولماذا امتلكها الفزع ساعة رؤيتي ؟ !

وبدأ سلوكها الغريب يثير في رأسي عشرات الأسئلة ، وطفقت أحسب له ألف حساب . والظاهر أنني إنسان من طراز خاص يشذ عن الانسان العادي . فهم أنني أفلحت في التخلص من صحبتها ، ومع أنها غابت عن أفق حياتي ، كما شاءت رغبتي ، إلا أنني بدأت أحس إثر تلك الليلة بالضيق والحنق من تصرفاتها الغريبة . واكتسبت حاسة جديدة لنقد سلوكها تجاهي . لماذا تهرب من لقائي ؟! ولماذا تحاول أن تنأى عني ؟! أتكرهني حقاً كما أعلنت ذلك ؟ يالها من طفلة مزعجة . كأن المرء لا عمل له في الحياة سوى العناية بها ، فان لم يفعل ، فعليه أن يتلقى كراهيتها . طفلة شاذة تثير الأعصاب بتصرفاتها السخيفة . إذا التقيت بها في ردهة المنزل فرت من أمامي كما يفر الحمل من الذئب . وإن جلست إلى المائدة اعتكفت في غرفتها ولم تبارحها إلا بعد أن أخلي المكان . لماذا ؟! أأنقلبت وحشاً مفترساً ؟! أين تلك المودة التي كانت تغمرني بها ؟! إن الحياة لا تطاق في هذا المسكن .. لا تطاق . ماالذي يشدني إليه ؟! أخلت القاهرة من منازل مريحة ؟! يجب إن أتركه .. يجب أن أغادره إلى نزل آخر .

انتهيت إلى ذلك القرار أخيراً لكنني لم أدرك دوافعه الحقيقية حتى الآن . لماذا ضايقني ابتعاد فلورا عني مع أنني كنت راغباً فيه ؟! وماذا يضيرني أن تحتجب عني عيني طفلة لا شأن لي معها ؟! بل لماذا دفعني ذلك إلى اعتزام الخروج مع أنني مسميت لا بعادها بنفسي ؟ ! لا أدري بالضبط — والذي حدث بعد ذلك أن رغبتي تحققت عقب أيام قليلة ، فتركت المسكن ، ولكن لا إلى مسكن آخر ، بل إلى إحدى المستشفيات الخاصة حيث سقطت صريع المرض .

***

أنفقت بضعة أيام في المستشفى لا أكاد أصحو حتى أفقد وعيي وكنت أرى — كلما فتحت عيني — فلورا وأبويها إلى جانب سريري . وفي خلال أيام اشتداد المرض مررت بفترة قاتمة لا أكاد أتذكر منها سوى أخيلة باهتة يغلفها ضباب كثيف . وفي بين ذلك الضباب المتكاثف يبرز وجه فلورا قوياً واضحاً بلون شاحب وعينين قلقتين وقسمات تتفجر غماً وأسى ولا أذكر متى حدث ذلك وفي أية ساعة من النهار أو الليل ، ولكن الذي أتذكره أنني صحوت على صوت بكاء عنيف ، وفتحت عيني في صعوبة فطالعتني صور أشخاص ملتفين حول سريري . لم أستطع بادىء الأمر أن أميز أحداً منهم ، إذ بدوا أمام عيني كالأطياف . ثم تركزت ملامحهم شيئا فشيئا حتى تبينت فيهم الطبيب وفلورا وأبويها . لكن عيني تعلقتا بوجه واحد من وجوههم هو وجه فلورا . كانت الدموع تنحدر على خديها في غزارة وصوت نحيبها يثير في القلب أعمق الشجن . وهالني أن أراها شملة ملتهبة من الحزن والألم ، فابتسمت لها . وحينئذ حدث مالا يمكن أن يبرح ذاكرتي مدى الحياة . انطلقت تضحك في فرح جنوني وهي تحدق في وجهي كالمخبولة والدموع تنهمر من عينيها مدراراً . وتناهى إلى صياحها كأنه آت من بعيد وهي تهتف بصوت منهدج : « إنه لن يموت ... لن يموت ... ألم تروه كيف فتح عينيه وابتسم ؟! لن يأخذه الله ... إنه ليس شريراً ... سيشفى بعد أيام قليلة وسأراه كل يوم ... أليس كذلك ياماما ؟! لن يموت ياربي ... لن يموت » . ثم ابتعد الصوت المتحشرج عن مسامعي وبهتت صورة وجه فلورا الماثلة أمامي حتى لم أعد أتبين أو أسمع شيئاً .

وتلك هي الذكرى الوحيدة التي ظلت واضحة في خيالي أيام الغيبوبة . ثم انقضت تلك الأيام وبدأت أثوب إلى رشدي ، وما كان اسعدني بالنجاة حينما أنبأني الطبيب أنه يئس من حياتي حتى عملة ذلك اليأس على مصارحة الأسرة الفرنسية بنهايتي الحتمية . وأنه سعيد جداً إذ خاب ظنه أخيراً .

وانتظرت فى لهفة زيارة فلورا وأبويها ، فطال انتظارى حتى استبد بى القلق. فرجوت الممرضة سميرة ـ التى تشرف على تمريضى ـ أن تقوم باستجلاء الأمر . ولشد ماذهلت حين أعلنت لى فى اليوم التالى أنهم اعتذروا عن زيارتى بكثرة المشاغل! واستولى على شعور بالاستياء . والقلق ولبثت أياماً عدة أتوقع زيارتهم فى شوق متدفق وأنا ألقى على نفسى عشرات الأسئلة الحائرة دون أن أبتكر لأحدها جواباً معقولا . ثم أخذ اكتراثى بالأمر يتضاءل يوماً عن يوم إثر البلادة النفسية التى [illegible] وبين سميرة واستغرقت كل اهتمامى .

مرت الأيام بطاء كسالى وانزاحت عنى سمات المرض تجاه بشائر الصحة . وكنت قد عقدت النية على مبارحة المستشفى فى صباح اليوم التالى حين أقبل على رسول من صاحب المنزل ينبئنى برحيل الأسرة الفرنسية إلى فرنسا ويطلب إلى اخلاء الدار من متاعى . وللمرة الثانية اجتاحنى الذهول والاستغراب ، وانطلقت أسائل نفسى عن سبب هذا التصرف فى حيرة وغضب .

وفى صباح اليوم التالى قصدت المنزل لأنقل متاعى إلى أحد الفنادق ريثما أعثر على مسكن آخر . صعدت إلى الدار بصحبة البواب ليساعدنى فى حزم الحقائب . وما كدت أجتاز الباب حتى هاجتنى وحشة قاتمة وطفت على مشاعرى أحاسيس تفيض بالشوق والأسى . دخلت غرفتى وأنا أجيل النظر حولى حزيناً آسفاً . وبينما انصرف البواب إلى ترتيب كتبى وملابسى فى الحقائب وقفت مشلول الحركة استعرض مشاهد حياتى منذ أن دخلت الدار حتى غادرتها إلى المستشفى . وفجأة وجدتنى ألتفت إلى البواب وأسأله بلهجة مرة: لماذا رحلوا ياعبده؟!

فتوقف البواب عن العمل ، ونظر إلى فى حزن وأجابنى بلهجة كئيبة : أفلا تعلم يا أستاذ سامى ؟ ! لقد ماتت فلورا فكره أبواها المعيشة من بعدها فى مصر ... ماتت ميتة ألمية تحت عجلات « المترو » بينما كانت تستقله صباح أحد الأيام إلى المدرسة .

وصمت لحظة ثم أردف يقول بلهجة ارتياب : لقد سمعت من البعض أنها انتحرت من أجل شاب أصيب بمرض خطير أفقد الأطباء كل أمل فى انقاذ حياته وأنها لم تسقط من العربة قضاء وقدرا ... ولكنها مجرد إشاعة كاذبة ولا شك .

وأصبت بذهول أدنى إلى التحجر وأنا استمع إلى البواب ، وتبلد ذهنى حتى تعذر على أن أتابع ما يقوله . وطفقت أهمس فى لهجة تائهة : فلورا ماتت .. فلورا ما تت.. فلورا ماتت ...!

ثم لاحت منى التفاتة إلى زاوية الغرفة فلمحت الهدايا التى كنت قد قدمتها إليها فى شتى المناسبات . اقتربت منها بخطى ذاهلة ، وجعلت أقلبها بين يدى وخيال فلورا مائل أمامى وسمعى يتجاوب بتلك العبارة التائهة . واصطدمت يدى بصورة فوتوغرافية صغيرة ، فنظرت إليها فى إهمال ، وإذا بى أمام صورتى كنت قد فقدتها من أمد بعيد ... !

وداهمنى خور غريب وأنا أحدق فى الصورة مشدوها ، وسرى ضعف شديد فى ساقى فلم يعد بوسعهما حملى ، واحتبس الهواء فى صدرى حتى شعرت بالاختناق ، وفجأة تهافت على الأرض وعيناى تمتلئان بالدموع !

القاهرة شاكر مصباك

مجلس مديرية قنا

الادارة الهندسية القروية

تقبل عطاءات لغاية ظهر يوم ١٧ — ٥ — ١٩٥٠ عن عمليـــة التركيبات الكهربائية للانارة والاجراس للمجموعتين الصحيتين بناحيتى دندرة مركز قنا والدير مركز إسنا .

ويقدم الطلب على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما للحصول على الشروط والمواصفات من الادارة الهندسية القروية بقنا نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم بخـــلاف مائة مليم أجرة البريد

ويمكن الاطلاع على الرسومات والبيانات اللازمة من الادارة الهندسية القروية بقنا .

٤٦٤٢